محاضرة الأدب الاسلامي

من كتاب الأمالي في الأدب الاسلامي للدكتورة ابتسام مرهون الصفار

قصائد (جميل بثينة ، عمر بن ابي ربيعة) وتحليلها

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية
كلية التربية القائم / جامعة الأنبار

قصيدة وتحليل

قال جميل بثينة :(٥٣٠)

١ ـ الا ليت ايـــام الصفـــاء جـــديـــد
ودهرا تـــــولى يـــــابثين يعـــود

٢ ـ فنغني كما كنـــــا نكـــــون وانتم
وصـــدق واذ مـــاتبـــذلين زهيـــد(٥٣١)

٣ ـ ومـــاانس مـــاالاشيـــاء لاانسى قـــولهـــا
وقـــد قربت نضـوي امصر تريـــد ؟(٥٣٢)

٤ ـ ولاقـــولهـــا لـــولا العيـــون التي ترى
اتيتـــك فـــاعـــذرني فـــدتـــك جـــدود

٥ ـ خليلي مـــااخفي من الـوجـــد ظـــاهر
فـــدمعي بمـــا اخفي الغـــداة شهيـــد

٦ ـ الا قـــد ارى واللـــه ان ربّ عبرة
اذا الـــــدار شطت بيننـــــا ستزود

٧ ـ اذا قلت مـــابي يـــابثينـــة قـــاتلي
من الـوجـــد قـــالت ثـــابت ويـزيـــد

٨ ـ وان قلت ردي بعض عقلي اعش بـــه
مـع النـــاس قـــالت : ذاك منـــك بعيـــد

٩ ـ فمـــا ذكر الخـــلان الا ذكرتهـــا
ولاالنجـــل الا قلت ســـوف تجـــود

١٠ـ واذ فكرت قـــالت قـــد ادركت وده
ومـــاضرّني بخـــل ففيم اجـــود

---

(٥٣٠) ديوان جميل : ١١ ـ ٦٧

(٥٣١) نغنى : نقيم

(٥٣٢) النضو المهزول من الابل وغيرها .

١١- فـلا انـا مردود بمـا جئت طـالبـا

١٢- جـزتـك الجـوازي يـابثين سـلامـة ولاحبهـا فيما يبيـد يبيـد

١٣- وقلت لهـا : بيني وبينـك فـاعلمي اذا مـاخليل بـان وهـو حميـد(٥٣٣)

١٤- وقـد كان حبيكم طريفـا وتـالـدا من اللـه ميثـاق لنـا وعهـود

١٥- وان عروض الـوصـل بيني وبينهـا ومـاالحب الا طـارق وتليـد(٥٣٤)

١٦- فـافنيت عيشي بـانتظـاري نـوالهـا وان سهلتـه بـالمنى لصعـود(٥٣٥)

١٧- فليت وشـاة النـاس بيني وبينهـا وابلت بـذاك الـدهر وهـو جـديـد

١٨- وليت لهم في كل ممسى وشـارقٍ يـذوق لهم سما طماطم سـود(٥٣٦)

١٩- ويحسب نسـوان من الجهـل انني تضـاعف اكيـال لهم وقيـود(٥٣٧)
اذا جئت ايـاهن كنت اريـد

٢٠- فـاقسم طرف العين ان يعرف الهـوى
وفي النفس بـون بينهن بعيـد

---

(٥٣٣) بان : فارق

(٥٣٤) الطارق : الحديث ، والتليد القديم

(٥٣٥) العروض: الطريق في عرض الجبل في مضيق ، ويريد به الطريق الى وصلها . صعود : يصعب السير فيه . والوصول الى غايته

(٥٣٦) يذوق : يخلط ، والطماطم جمع طمطم وهو المولى الذي لايبين كلامه اذا تكلم بالعربية .

(٥٣٧) الممسى : المساء ، والشارق وقت الشروق ، الاكبال القيود .

٢١- علقت الهوى منهـا وليـدا فلم يـزل
الى اليـوم ينمى حبهـا ويـزيـد(٥٣٨)

٢٢- يـذكرنيهـا كل ريـح مريضـة
لهـا بـالتـلاع القـاويـات وئيـد(٥٣٩)

٢٣- الا ليت شعري هـل ابيتن ليلـة
بـوادي القرى اني اذن لسعيـد

٢٤- وقـد تلتقي الاهـواء من بعـد يـاسـة
وقـد تطلب الحـاجـات وهي بعيـد

٢٥- وهـل ازجرن حرفـا نـواة شملـة
بخرق تبـاريهـا سـواهم قـود(٥٤٠)

٢٦- على ظهر مرهـوب كأن نشـوزه
اذا جـار هـلاك الطريـق وقـود(٥٤١)

٢٧- ومن كان في حي بثينـة يمتري
فبرقـاء ذي ضـال علي شهيـد(٥٤٢)

---

(٥٣٨) وليدا : اي منذ كنت صغيرا ولدا ، ينمى : ينمو ويزيد .

(٥٣٩) التلاع جمع تلعة وهي ماارتفع من الارض ، القاويات المقفرة ، الوئيد : الصوت عامة او الصوت الخفي . اي ان صوت الريح تذكره ببثينة في تلك الديار التي شهدت طفولتيها .

(٥٤٠) الحرف : الناقة الضامرة او المهزولة او العظيمة ، العلاة الناقة المشرفة ، والشملة السريعة ، الخرق القفر والارض الواسعة التي تتخرق فيها الرياح . السواهم : جمع ساهمة ، وهي الناقة الضامرة والقود : الذلولة المنقادة .

(٥٤١) السير . والنشوز جمع نشز وهو ماارتفع من الارض . جاز : اذا ضل ، هلاك الطريق المنتجعون الذين قد ضلوا الطريق

(٥٤٢) برقاء ذي ضال : اسم موضع يشير فيه جميل الى حادثة او لقاء له مع بثينة فيه .

٢٨- لئن كان في حب الحبيب حبيبـــــه
حـــدود لقـــد حلت علي حـــدود(٥٤٣)

٢٩- الم تعلمي يـــــاام ذي الـــــودع انني
اضـــاحـــــك ذكراك وانت صلـــود(٥٤٤)

---

(٥٤٣) الحدود : جمع حد وهو العقاب الذي حدّه الله لانتهاك الحرم .

(٥٤٤) ام ذي الودع : يريد بها بثينة المتزينة بالودع (الخرز) .

صلود : بخيلة .

جميل بثينة شاعر الغزل العذري

لقد مر بنا في المبحث السابق تطور لغة شعر الغزل في عصر الاسلام والعصر الاموي تأثرا بالقرآن الكريم ومعانيه واخليته وتوجيهاته . ويمكن الحديث هنا عن تطور الغزل بكونه تيارا شعريا معروفا برز واضحا في العصر الاموي له اعلامه وشعراؤه المعروفون . وقد اتخذ هذا التيار مسارين اولهما عرف بالغزل العذري ، وقد شكل معظم شواهد المبحث السابق وآخر عرف - بين النقاد بالغزل الماجن ، او الغزل الفاضح او الغزل الحسي المتطور اللاهي . وقد مثل عمر بن ابي ربيعة هذا المسار .

واذا كنا قد فضلنا لفظ الصريح على الماجن فلأن بعض مؤرخي الادب قد بالغ في فهم هذا الشعر ومدلوله الفكري والاجتماعي ، وانتزع فيه المدينة ومكة من واقعيها ، التاريخي فصورت المدينتان وكأنها غارقتان في الترف واللهو والنعيم والشباب العاطل اللاهي ، وكأن المدينتين الكبيرتين في الحجاز قد فرغتا للغناء ، وان الناس يختلفون فيها الى المغنين والمغنيات حتى النساك والفقهاء(٥٤٥) !!

ان في هذه النظرة مغالاة ، قد نظر فيها الباحث الى شعر الغزل بمنظار ينظر الى زاوية واحدة حاجبا رؤية الزوايا الاخرى التي يزخر بها المجتمع ومن المفيد جدا الاستشهاد بحكم د. عبد الهادي فضل بشأن اول ملمح - رصده - من الملامح الفنية في الغزل الحضري الحجازي وهو خلوه من المجاهرة بالفحش والالحاح على المعاني المكشوفة والانحراف الى العبارات الفاضحة وماكان لشعرائه ان يجرأوا على هذه المجاهرة او الكشف فاقليهم منبع الدعوة الاسلامية وموطنها الاول الذي حملها على اكتافه رجاله الى انحاء الجزيرة العربية ومنها الى سائر اقطار الارض . وفي مدينة وبخاصة مكة والمدينة قامت حلقات الدروس الدينية ، وتروى احاديث الرسول الكريم (ﷺ) ، وفي الحجاز عاشت طائفة كبيرة من بقايا الصحابة وكبار التابعين من ابناء المهاجرين والانصار .. يضاف الى هذا حرص اهل الحجاز على قيم الفضيلة واخلاق الدين كل هذا يفرض ذوقا على بيئة الحجاز وشعراء الغزل حق رعاية الفضيلة والدين وان تسامحت معهم في بعض مايعد من ظرف الكلام واخيلة الشعراء ومداعباتهم (٥٤٦)

---

(٥٤٥) انظر العصر الاسلامي : شوقي ضيف ٣٤٧ .

(٥٤٦) ينظر اتجاهات الشعر / ٤١٢ - ٤١٣ .

لقد اتخذ شعر عمر بن ابي ربيعة وشعر الغزل في الحجاز سمة الصراحة بالغزل في ذكر اسماء من يتغزل بهن ، او يشبب بهن او يتخيل احاديث ومواقف وقعت معهن .. ولكن ذلك فهم في حينه على انه خيال شعري ، وترف كلامي ، ورقة تدور جميعها في اطار المجاملة والمسامرة واللهو ..

ولم يختلف الغزل العذري عن الصريح في تصوير العاطفة ورقتها الا ان الشعراء العذريين ابدعوا في تصوير معاني الحب والاخلاص والتشوق الى من يحبون ، فاشعارهم مليئة بالعاطفة الحارة الصادقة واللوعة ، وحرقة الهوى مع التفاني في الاخلاص والمودة لمن يحبون . وشعر الغزل الصريح كعمر بن ابي ربيعة نجح في تصوير عواطف من احبينه ، وشغفن به وتتبعن مكانه حتى عدّ هذا من معايب شعر عمر بن ابي ربيعة انطلاقا من الذوق الاجتماعي العام الذي يرى مهمة الشاعر المتغزل هي ابداء صدق مودته واخلاصه لمن يحب مقابل هذا تصور المرأة المتغزل بها عفيفة ابيّة متمنعة متحفظة !!.

وقد تعددت الفتيات اللائي تغزل بهن عمر بن ابي ربيعة بينما قصر الشاعر العذري حبه على واحدة فجميل بن معمر تغزل ببثينة ، وعروة بن حزام بعفراء ، والمجنون بليلى وغيرهم ..

واتسم الغزل بمساريه العذري والصريح باعتماده اسلوب الحوار والحكاية فكثر تعبير قال ، وقلت ، حتى تحولت بعض قصائد الغزل الى قصص قصيرة يحكيها الشاعر عن نفسه مع صاحبته ، اوصاحباتها(٥٤٧).

واما رقة اللغة الشعرية في المسارين الصريح والعذري فهو سمة عامة لطبيعة موضوع الغزل ورقته ، التي نلمحها حتى عند الشعراء الذين لم ينصرفوا الى الغزل وانما قالوا فيه بكونه غرضا من اغراض القصيدة المتعددة ونظرة سريعة الى القصائد المطولات في الشعر الجاهلي تدلنا على اختلاف لغة الشاعر الواحد فيها فلغته في المقطع الغزلي رقيقة سمحة جميلة بينما تميل الى الغرابة واختيار الالفاظ الوحشية المصورة لحياة البادية ومافيها من حيوان وطبيعة اذا تحدث عن الرحلة والناقة . وبذا يمكن القول ان لغة الشعر في الغزل الصريح والعذري واحدة الا ان الفاظا بعينها كثر ورودها في الاول تتعلق باللقاء والاحاديث والفرحة واللوعة والفاظا اخرى تدور في اطار الحب والعشق والهجر ، والصبر ، مما يصور عاطفة الشاعر وموقفه ازاء من احب .

---

(٥٤٧) انظر كتاب القصة والحكاية في الشعر العربي - د . بشرى الخطيب مبحث القصص العاطفية في العصر الاموي صفحة ٣٠٥ .

وقد اخترنا قصيدة جميل بن معمر لتكون ممثلة للغزل العذري خاصة والغزل في العصر الاموي عامة .

اقترن اسم جميل بن معمر بشعر الغزل العذري ، فهو شاعر العذريين الغزليين المقدم . نشأ في وادي القرى شمال المدينة فهو من ابناء البادية القريبة من الحاضرة وشعره يمثل فصاحتها وسلامة لغتها ، ونقاوة روح شعرائها من ناحية ويمثل شعره ايضا رقة المدينة واستقرارها لقرب وادي القرى منها (٥٤٨)

بدأ الشاعر قصيدته بالتحسر على ايام الصفاء التي عاشها مع بثينة ، وبدت مقدمته اقرب الى المقدمة الشكلية في القصيدة العربية عامة : اذ انه بعد تمنيه خاطب رفيقيه شاكيا معاناته مَن وجده ، متحدثا عن بعد ديار الحبيبة ، ومثل هذه الافتتاحية نجدها في اكثر من قصيدة في شعره ، كما وجدناها في شعر غيره شعراء الغزل .

وقد بدأ جميل بعض قصائده بافتتاحيات اخرى ، بدأ بعضها بالوقوف على الاطلال والبكاء على رسمها كقوله :

رسم دار وقفت في ظلله
كدت اقضي الغداة من جلله (٥٤٩)

ومرة يسأل رسم الديار الذي يهيج عبرته وتساءله كقوله :

ألم تسأل الربع القواء فينطق
وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق (٥٥٠)

وكقوله :

أهاجك ام لا بالمداخل مربع
ودار باجراع الغديرين بلقع (٥٥١)

---

(٥٤٨) ديوان جميل شاعر الحب العذري. تحقيق : د . حسين نصار : ٨

(٥٤٩) ديوان جميل ١٨٨

(٥٥٠) نفسه ١٤٢

(٥٥١) نفسه ١١٧

وقد يبدأ جميل بعض قصائده بمخاطبة رفيقي السفر ، ولكنه لايطلب منهما الوقوف على ديار الحبيبة الموحشة المهجورة ، وانما يطلب منهماان يعوجا الى ديارها ليسلما عليها ، وينقلا الى الحبيبة لوعة حبه وشوقه اليها ، وبذا يوظف جميل الافتتاحية الطللية لمعنى الغزل الذي يريده ، ويجعل الرفيقين وسيلة للتعبير عن حبه وشوقه وصدق عاطفته من خلال مبادلته الكلام معهما ومحاورتهما كقوله :

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما
على عذبة الانياب طيبة النشر (٥٥٢)

وبدأ جميل احدى قصائده بتمني ايام وصال بثينة له والدعاء لديارها بالسقيا .

اعائدة يابثن ايامنا الاولى
بذي الظلم ام مالهن رجوع (٥٥٣)

(٥٥٢) نفسه ٩٠

(٥٥٣) ديوانه ص : ١٢٠

الابيات ٧ ـ ١٩

يبدأ جميل بمخاطبة بثينة مباشرة مصورا مابنفسه من لوعة الوجد وثباته على حبه ، واخلاصه له ، مع معاناته من هجرها او قلة نوالها وبعدها ، فيعقد ميثاقا بالوفاء لها لان حبها قديم في نفسه متأصل متجذر ، وهو يصفها بالتمنع والاباء ، وخوف الوشاة لذلك يدعو عليهم ـ على الوشاة ـ بان يسقوا السم القاتل او ان يذلوا بالقيد او الحبس .

الابيات ١٩ ـ ٢٧

يصور الشاعر حبه واخلاصه لصاحبته ، وحرصه على سمعتها فهو حذر لايعرضها لسوء مقالة او كلام ، ولايثير اي شبهة حين يزور حيها ، لذلك تحسب النسوة انه جاء لزيارتهن ولكنه يقسم ان طرفه لايلتفت لحظة الى اي فتاة منهن .. وكيف يعلق بغيرها وقد علق حبها في قلبه منذ كان وليدا ..!

وهنا نلمح توظيف الشاعر للطبيعة ، وربطها مع مشاعره فالريح المريضة الهادئة تذكره بها فتشتد لوعته ، ويزيد شوقه فيتمنى ان تعود ايام الوصل واللقاء مع بثينة ، ويتمنى العيش ليلة واحدة في وادي القرى مربع اهله ، واهلها حيث يعيشان حياتيهما الاعتيادية ، فيركب ناقة ضامرة معتادة على السفر تقود نوقا مثلها مهيأة للسفر والرحلات وهو تمنٍ ليس خاصا باسلوب جميل الغزلي ، وانما كثر وروده عند شعراء الغزل في الجاهلية ، والاسلام كما انه كثر وروده ايضا في شعر الحنين والغربة كما مر بنا في شعر مالك بن الريب .

٢٧ ـ ٢٩

يشير جميل الى موعد لقاء بينه وبين بثينة فتهيج عواطفه واصراره على حبها ، وانه لو كان هناك عقاب ، وحدّ يعاقب به من يحب حبيبا له فانه سيبقى ثابت الحب ، وفيا له حتى لو طبقت عليه الحدود الاسلامية ، واوقع عليه العقاب .

ويختم قصيدته بانه مع تمنعها ، وبخلها في الوصال يبقى متعلقا بذكراها وودها ..

قصيدة وتحليل

وقال عمر بن ابي ربيعة(☆) :

١ ـ أمن ال نعم انت غـــــــــادٍ فمبكر
غـــــداة غـــــدٍ ام رائـــــح فمهجر(٥٥٤)

٢ ـ لحـــاجـــة نفس لم تقـل في جـوابهـــا
فتبلـغ غـــدراً والمقـــالـــة تعـــذر(٥٥٥)

٣ ـ أهيم الى نعم فـــلا الشمـــل جـــامـــع
ولا الحبـــل مـــوصـــول ولاالقلب مُقصر(٥٥٦)

٤ ـ ولاقرب نعم ان دنت لـــك نـــافـــع
ولانـــــأيهـــــا يسلي ولاانت تصبرُ

٥ ـ وأخرى اتت مِن دون نعم ومثلهـــــا
نهى ذا النهى لـــو يرعـــوي او يفكرُ(٥٥٧)

٦ ـ اذا زرت نعما لم يـــزل ذو قرابـــة
لهـــا كلمـــا لاقيتهـــا يتنمر(٥٥٨)

٧ ـ عـــزيـــز عليـــه ان المّ ببيتهـــا
يسر لي الشحنـــــــاء والبغض يظهر

(☆) شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة/ تحقق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الاندلس ص ٩٢ فما بعدها

(٥٥٤) غاد : سائر في الغداة وهو اول النهار ، ومهجر من التهجير وهو السير وقت الهاجرة واشتداد الحر

(٥٥٥) لم تقل في جوابها : اي لم تصرح بحاجتك وكتمتها ، ولو انك صرحت بما دعاه للذهاب الى ديارها لاقت العذر لنفسك

(٥٥٦) اقصر القلب اي كف عن الهوى والصبابة

(٥٥٧) يرعوي : يكف

(٥٥٨) يتنمر : يعبس ويكلح وجهه تشبيها له بالنمر وشراسته

٨ ـ الكني اليهـــا بـــالسلام فـــانـــه
يشهر المـــــــامي بهـــــــ

٩ ـ بـآيـــة مـــاقـــالت غـــداة لقيتهـــا
بمـــدفـــع اكنـــان أهـــذا المشهر (٥٦٠)

١٠ـ أهـــذا الـــذي اطريت نعتـــاً فلم اكن
وعيشـــــك أنســـــاه الى يـــوم أقبر

١١ـ فقـــالت نعم لاشـــك غير لـــونـــه
سرى الليـــل يحيي نصـــــه والتهجر (٥٦١)

١٢ـ لئن كان ايـــاه لقـــد حـــال بعـــدنـــا
عن العهـــد والانســـان قـــد يتغير

١٣ـ رأت رجـلا امـــا اذا الشمس عـــارضت
فيضحى وامـــا بـــالعيش فيحفر (٥٦٢)

١٤ـ اخـــا سفر جـــواب ارض تقـــاذفت
بـــه فلـــوات فهـــو اشعث اغبر (٥٦٣)

١٥ـ قليـــل على ظهر المطيـــة ظلـــه
ســـوى مـــانفى عنـــه الرداء المحبر (٥٦٤)

١٦ـ واعجبهـــا من عيشهـــا ظـــل غرفـــة
وريـــان ملتف الحـــدائـــق اخضر

---

(٥٥٩) الكني اي كن رسولي اليها ، من الالوكة وهي الرسالة

(٥٦٠) بآية ماقالت : اي جعل بينه وبينها علامة لتبلغه وصول رسوله اليها والمشهر الذي شهر امره

(٥٦١) سرى الليل : السير ليلا . والنص : السير الشديد ، يريد ان لونه وحاله قد تغيرا بسبب اجهاده في السير ليلا ووقت الهاجرة نهارا

(٥٦٢) ويضحى اي يظهر للشمس ولايستتر منها

(٥٦٣) الفلوات جمع فلاة وهي الصحراء ، والاشعث الذي انتشر شعره او تفرق وانتشر ، واغبر : ظهر عليه الغبار ، يريد وصف حاله بانه لكثرة جوبه الصحارى قد صار شعره اشعث مغبرا

(٥٦٤) رداء المحبر الرداء المزين المحسن ، والحبرة نوع من اللباس المترف

١٧- و والٍ كفـــاهـــا كل شيء يهمهـــا

١٨- وليلـــــــة ذي دوران جشمني السرى فليست لشيء اخر الليـــــــل تسهر(٥٦٥)

١٩- فبت رقيبـــا للرفـــاق على شفـــا وقـــــد يجشم الهـــول المحب المغرر(٥٦٦)

٢٠- اليهم متى يستمكن النـــــــوم منهم احـــــاذر منهم من يطـــوف وانظر(٥٦٧)

٢١- وبـــاتت قلـوصي بـــالعراء ورحلهـــا ولي مجلس لـــولا اللبـــانـــة اوعر(٥٦٨)

٢٢- وبت انـــاجي النفس اين خبـــاؤهـــا لطـــارق ليـــل او لمن جـــاء معـــور(٥٦٩)

٢٣- فـــدل عليهـــا القلب ريـــا عرفتهـــا وكيف لمـــا آتي من الامر مصـــدر(٥٧٠)

لهـــا وهـــوى النفس الـــذي كاد يظهر(٥٧١)

---

(٥٦٥) والٍ رجل يتولى شؤنها ، ويقوم لها بما تحتاجه

(٥٦٦) دوران موضع ، جشمني كلفني ، يريد انه كلف نفسه عناء تجشم المخاطر في ليلة زيارته لحي دوران بسبب حبه لنعم

(٥٦٧) شفا : قيل على طرف نهار ، وقيل وهو الاحسن على اشراف من الظلام بسبب مخاطرته في زيارتها ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : «وكنتم على شفا حفرة ...) ، وفي احدى نسخ الديوان على شقا اي في حالة شقاء وحزن خوفا من تعذر ملاقاتها

(٥٦٨) اللبانة الحاجة ، اوعر شاق شديد

(٥٦٩) القلوص : الناقة الشابة الفتية ، معور واضح مجيئه وقدومه

(٥٧٠) المناجاة محادثة النفس سرا

(٥٧١) الريا : الرائحة الطيبة

٢٤- فلمـــا فقـــدت الصـوت منهم واطفئت

٢٥- وغـــاب قمير كنت اهـوى غيـوبـــه مصـــابيـح شبت بـــالعشـــاء وانـوّر(٥٧٢)

٢٦- وخفض عني الصـوت اقبلت مشيـــة الـ وروح رعيـــــان ونـــــوم سمّر(٥٧٣)

٢٧- فحييت اذ فـــاجـــأتهـــا فتـولهت حبـــاب وشخصي خشيـــة الحي ازور(٥٧٤)

٢٨- وقـــالت وعضت بـــالبنـــان فضحتني وكادت بمخفـــوض التحيـــــة تجهر(٥٧٥)

٢٩- اريتـــك اذ هنـــا عليـــك الم تخف وانت امرؤ ميســـــــــــور امرك اعسر

٣٠- فـواللـه مـاادري اتعجيـل حـاجـة - وقيت - وحـــولي من عـــبدوك حضر

٣١- فقلت لهـا بـل قـادني الشـوق والهـوى سرت بـك ام قـد نـام من كنت تحـذر

٣٢- فقـــالت وقـــد لانت وافرخ روعهـــا اليـــك ومـــانفس من النـــاس تشعر

٣٣- فـــانت ابـــا الخطـــاب غير مـــدافـع كـــلاك بحفـــظ ربـــك المتكبر(٥٧٦)

علي امير مـــــــامكثت مـــؤمر

---

(٥٧٢) انوّر : جمع نار ، يريد لما هجع قومها واطفئوا نيرانهم حاول ان يتقدم نحو خبائها

(٥٧٣)رعيان جمع راع ، وروحوا عادوا الى بيوتهم ، ونوم : نام ، والسمر القوم الذين يسمرون جمع سامر. وهم الذين يتحادثون ليلا للمسامرة

(٥٧٤)الخباب الغراب ، وازور : مائل منحرف

(٥٧٥) تولهت : اظهرت ولهها اي حزنها وحيرتها لحبه

(٥٧٦)افرخ روعها : ذهب حزنها ، كلاك : حفظك

٣٤- فيـــالـــك من ليـل تقـاصر حـولـه ومـــاكان ليلي قبـــل ذلـــك يقصر

٣٥- ويـــالـــك من ملهى هنـــاك ومجلس لنـــا لم يكـــدره علينـــا مكـــدر

٣٦- يمـج ذكي المســـك منهـــ مقبـل نقي الثنـــايـــا ذو غروب مـــؤشر(٥٧٧)

٣٧- تراه اذا مـــاافتر عنـــه كأنـــه حصى برد او اقحـــوان منـــور(٥٧٨)

٣٨- وترنـــو بعينيهـــا اليّ كما رنـــا الى ظبيـــة وســـط الخميلـــة جـؤذر(٥٧٩)

٣٩- فلمـــا تقضى الليـــل الا اقلـــه وكادث تـــوالي نجمـــه تتغـــور(٥٨٠)

٤٠- اشـارت بـان الحي قـد حـان منهم هبـوب ولكن موعـد منـك عـزور(٥٨١)

٤١- فمـــا راعني الا منـــادٍ ترحلـــوا وقـــد لاح معروف من الصبـــح اشقر

٤٢- فلمـــا رأت من قـــد تنبـــه منهم وأيقـــاظهم قـــالت اثر كيف تـــامر

---

(٥٧٧) مقبل : اراد به الفم ، الثنايا جمع ثنية وهي احدى الاسنان الاربع التي في مقدم الفم . الغروب حدة الاسنان ورقتها

(٥٧٨) افتر : يريد اذا ضحكت وبدت اسنانها . البرد حب الغمام المتجمد الذي ينزل مع المطر . الاقحوان نبت ضعيف الريح ، ومنور اظهر نوره اي زهره

(٥٧٩) ترنو تنظر بطرف عينيها ، الخميلة الشجر الملتف الكثيف ، الجؤذر ولد البقرة الوحشية .

(٥٨٠) تتغور اي تغيب

(٥٨١) عزور على وزن جعفر مكان بعينه

٤٣- فقلت ابـــاديهم فـــامـــا افـــوتهم
وامـــا ينـــال السيف ثـــأراً فيثـــ (٥٨٢)

٤٤- فقـــالت : اتحقيقـــا لمـــا قـــال كاشـح
علينـــا ، وتصـــديقـــا لمـــا كان يـــؤثر (٥٨٣)

٤٥- فـــان كان مـــالابـــد منـــه فغيره
من الامر ادنى للخفـــــــــــــاء واستر

٤٦- أقص على اختي بـــدء حـــديثنـــا
ومـــــالي من ان تعلمـــــا متـــــأخر

٤٧- لعلها ان تطلبـــا لـــك مخرجـــا
وان ترحبـــا سربـــا بمـــا كنت احصر (٥٨٤)

٤٨- فقـــامت كئيبـــا ليس في وجههـــا دم
من الحـــزن تـــــذري عبرة تتحـــدر

٤٩- فقـــامت اليهـــا حرتـــان عليها
كســـــاءان من خـــز دمقس واخضر

٥٠- فقـــالت لاختيهـــا اعينـــا على فتى
اتى زائرا ، والامر لـــــلامر يقـــدر

٥١- فـــاقبلتـــا فـــارتـــاعتـــا ثم قـــالتـــا
اقلي عليـــك اللـــوم فـــالخطب ايسر

٥٢- فقـــالت لهـــا الصغرى ســـاعطيـــه مطرفي
ودرعي وهـــذا البرد ان كان يحـــذر (٥٨٥)

٥٣- يقـــــوم فيمشي بيننـــــا متنكرا
فـــلا سرنـــا يفشـــو ، ولاهـــو يظهر

---

(٥٨٢) اباديهم اي ابدو لهم واظهر

(٥٨٣) الكاشح الذي يضمر العداوة ، يؤثر يتناقل يريد مايتناقله الوشاة

(٥٨٤) السرب النفس

(٥٨٥) المطرف رداء من خز مربع ذو اعلام ، الدرع القميص ، والبرد يلبس فوق الملابس

٥٤- افكان مجني دون مـــــــاكنت اتقي
ثـــلاث شخـــوص كاعبـــان ومعصر(٥٨٦)

٥٥- فلـــا اجـــزنـــا ســـاحـــة الحيّ قلن لي
امـــا تتقي الاعـــداء والليـــل مقمر(٥٨٧)

٥٦- وقلن اهـــذا دأبـــك الـــدهر ســـادرا
امـــا تستحي او ترعـــوي أو تفكر(٥٨٨)

٥٧- اذا جئت فـامنـح طرف عينيـك غيرنـا
لكي يحسبـــوا ان الهـــوى حيث تنظر

٥٨- فـآخر عهـــدي لي بهـــا حيث اعرضت
ولاح لهـــــا خـــــد نقي ومحجر

٥٩- ســوى انني قـــد قلت يـــانعم قـولـــة
لهـــا والعتـــاق الارحبيـــات تـــزجر(٥٨٩)

٦٠- هنيئـــا لاهـــل العـــامريـــة نشرهـــا
اللـــذيـــذ وريـــاهـــا الـــذي اتـــذكر(٥٩٠)

٦١- وقمت الى عنس تخـــــون نيهـــــا
سرى الليـــــل حتى لحمهـــــا متحسر(٥٩١)

٦٢- وحبسي على الحـــاجـــات حتى كأنهـــا
بقيـــــة لـــوح او شجـــار مـــؤشّر

٦٣- ومـــاء بمـــومـــاة قليـــل انيســـــه
بســـابس لم يحـــدث بـــه الصيف محضر

---

(٥٨٦) كاعبان ومعصر يريد بهن ثلاث فتيات صحبنه في هربه

(٥٨٧) اجزنا قطعنا

(٥٨٨) سادرا غير مهتم بما تصنع ، ترعوي تكف عما غلب عليك ، دأبك عادتك

(٥٨٩) عتاق جمع عتيق واراد بها الخيل الاصيلة ، الارحبيات جمع ارحبي وهو المنسوب الى قبيلة ارحب

(٥٩٠) تستر الريح الطيبة ومثلها الريا

(٥٩١) عنس الناقة ، تخون نيها اي تنقص شحمها لطول سيرها

التحليل :

اذا كان شعر جميل بن معمر صورة لشعر الغزل العذري عامة وغزل البادية خاصة فان شعر عمر بن ابي ربيعة يمثل غزل الحضر بل هو زعيم الغزليين من اهل الحضر كما وصفه د . طه حسين .

واذا كنا نجد في شعر جميل بثينة صدق العاطفة في وصف عاطفة الحب ولواعج الهوى وحرقة الفراق فاننا نجد في شعر عمر بن ابي ربيعة صورا متنوعة لحال عمر ، الذي يمثل الشباب الملكي المترف الرقيق - وصورة المرأة العربية المنعمة ذات العقل والدل والجمال .. وصورة المجتمع بعلاقاته المختلفة ونشاطاته المنوعة ، من رحلات ، وحج ، ومجالس سمر ، الى وصف تحركات النساء ولباسهن وتصرفاتهن فالمؤرخ العربي (الذي يريد ان يدرس حياة المرأة العربية المترفة في هذا القرن الاول يجب ان يلتمس الادب والتاريخ بمثل مايظفر به في هذا الشعر ، فيه ترى المرأة العربية المترفة واضحة جلية الصورة تنفق حياتها في هذه الدعة والنعمة اللتين على عفتها وطهارتها لاتخلوان من لهو ودعابة ، ولامن عبث وفكاهة والمؤرخ الذي يريد ان يدرس الصلة بين الرجال والنساء في هذا العصر يجب ان يلتمس ذلك عند عمر بن ابي ربيعة[٥٩٢] ولكن طه حسين وكثيراً من الباحثين وصفوا غزل عمر بالغزل الاباحي ،ناظرين اليه من منظار واحد هو كثرة الفتيات اللائي تغزل بهن ، متناسين ماتركه هذا الغزل من اعجاب في نفوس معاصريه من شعراء الغزل او الشعراء ان لم نقل الادباء عامة .

فجميل بثينة نفسه يقر لعمر بالفضل في الغزل بعد ان سمع له قصيدة ، ويسمعه مثلها فيقول له معترفا برقة غزله (هيهات يابا الخطاب لاقول مثل هذا سجيس الليالي . والله ماخاطب النساء مثلك احد .

وكلمة الفرزدق في شعر عمر مشهورة اذ ذكر انه حين سمع البيت :

وقمن وقد افهمن ذا اللب انما
اتين الذي ياتين من ذاك من اجلي

صاح وقال : هذا الذي ارادته فاخطأته الشعراء ، وبكت على الديار .

---

(٥٩٢) رأي طه حسين في حديث الاربعاء .

اما اعجاب القريشيين به فكثير في حياته وبعده يكفي أن تتذكر راوي اشعاره وصديقه ابن ابي عتيق الذي ذكرت له آراء كثيرة في غزل عمر وأبياته . واما الزبير بن بكار فأنه قال : «ادركت مشيخة من قريش لا يزنون بعمر ابن ابي ربيعة شاعرا من اهل دهره في النسيب ، ويستحسون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه ، والتحلي بمودته» واما مصعب بن الزبير فانه ذكر كلمة طويلة في تعليل اعجابه بشعر عمر وكونه قد فاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الاسر ...

كل هذه الاقوال تدلنا على ان القدماء لم ينظروا الى شعر عمر ابن ابي ربيعة على انه شعر مجون او فسق ، او انه شعر اباحي كما وصفه المحدثون ، انما وصفوه بالرقة وسلاسة التعبير من آراء اخرى في نقد اشعاره او اخباره .

واشهر واشهر خبر ذكر لعمر وقصيدته هذه هو مع ابن عباس - حبر الامة - وصاحب جهود كبيرة في التفسير (٥٩٣) - ذكر انه كان يوما في المسجد الحرام فقدم عليه نافع بن الازرق زعيم الازارقة - وهم فرقة من الخوارج نسبوا اليه - ليسأله عن مسائل في القرآن الكريم فاقبل عليه عمر بن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين حتى دخل وجلس ، فاقبل عليه ابن عباس فقال انشدنا ، فانشده ... (القصيدة الرائية) فاقبل عليه نافع بن الازرق فقال له : والله يا ابن عباس انا نضرب اليك اكباد الابل من اقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتشاقل عنا ، ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت

فيخزى واما بالعشي فينحسر

فقال ليس هكذا، قال : فكيف ، قال قال :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت

فيضحى واما بالعشي فيخسر

---

(٥٩٣) له تفسير طبع باسم «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز ابادي .

فقال : ماراك الا كنت حفظت البيت ، قال : فاني اشاء ، فانشده[٥٩٤] . وموقف ابن عباس هذا ينقل لنا صورة للمجتمع المكي الذي لم ينظر الى شعر عمر نظرة تخوف او استهجان ، ولاعدوه اباحيا مع اختلافهم في مدى قبوله او نقده واظهار بعض هفواته في الوصف والنسيب .

اما المحدثون فقد تناولوا هذه القصيدة ضمن ماتناولوه من دراسات تخص شعر الغزل ، وعدوها من قصص عمر الماجنة .[٥٩٥]

وقد درست د . بشرى الخطيب قصص عمر تحت مبحث قصص الحب الماجن

---

(٥٩٤) **الديوان (مقدمته) ص ١٦ .**

(٥٩٥) القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي/ د . بشرى الخطيب وانظر حديث الاربعاء ٢٩٣/١ ، **تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام شكري فيصل ٢٨٠ ، حب ابن ابي ربيعة/ جبريل جبور .**

تحليل القصيـدة

وسنحاول من خلال شرح الابيات وتحليلها متابعة غزل عمر في هـذه القصيدة وغيرهـا، مما يقدم صورة واضحة لهذا الضرب من الغزل الذي كان شائعا في العصر الاموي.

الابيات ١ـ٧

أفتتح عمر قصيدته بالاستفهام معتمدا الهمزة وام ليبدأ حديثه عن امرأة اسمها نعم كانت هدفه في هذه المغامرة التي يقص لنا حديثها ، فيصور لنا حبه لها وهيامه بها ، وصعوبة الوصول اليها ليقدم لنا تمهيدا يحيط جو مغامرته بالمخاوف والمخاطر ، ففتاته مترفة منعمة واهلها او ولي امرها يحمل له البغضاء والكراهية ولايطيق رؤيته في منازلهم ، ومع ذلك يحاول عمر القيام بزيارتها ليلا ليضمن تخفيه عن عيونهم ومراقبتهم له .

٨ـ٢٥

هنا يصف عمر اول خطوة لقصته الشعرية هذه بعد ان مهد لنا وصف جو المغامرة ، فقد وقف مراقبا لديارها بعد طول رحلة ، وسفر مضن ينتظر هجوع اهلها ، محاولا تبين خبائها من بين اخبية قومها ، وفجأة يتعرف عليه ، لامن خلال علاقة معينة وانما يدله عليها حبه واشواقه نحوها ، ورائحتها الطيبة التي يعرفها !!

٢٦ـ٣٩

هنا تهدأ الاصوات وتخفت الحركات ، وتطفيء المصابيح ، ويهجع الرعيان وينام الساهرون فيزحف عمر منسابا زاحفا كالحية ، ويفاجيء نعما بالتحية فتظهر ولهها ، وتعض بنانها من هول المفاجأة وخشية الفضيحة ، وتسأله عما دفعه الى هذه المخاطرة ، فيجيبها بان هواها واشواقه اليها هما دفعاه نحوها ، وانه لم يشعر بقدومه احد فتطمئن نفسها ، ويفرخ روعها فتدعو له الله ان يحفظه ، وتصرح له بحبها ، وانه امير قلبها ... ويطول حديثه معها فيقصر ليله لانه مع حبيبته التي يعود في هذه الابيات الى وصف جمالها ، جمال فمها وعينيها .

٤٠ـ٤٩

في هذه الابيات يبدأ مشهد اخر من مشاهد القصيدة والمغامرة فخيوط الفجر تبدأ بالظهور ، وتسمع في الحي اصوات وحركات فتفزع صاحبته ، وتسأله خائفة عما سيفعل ، وهنا لابد ان يظهر عمر نفسه بمظهر البطل الذي لايهاب الموت فيشير عليها بان يبرز ويظهر امام اهلها فاما ان يستطيع النجاة منهم ، او ان يثأروا منه ، ولكن نعما المحبة تخشى على نفسها الفضيحة ، وتخاف عليه من قومها فتختار له طريقا اخر للنجاة مستعينة بمشورة اختين لها .

٥٠ـ٥٤

ينقل عمر في هذه الابيات صورة نعم وقد اخذها الخوف عليه وتحرر دمعها فتخبر اختين او صديقتين لها فترتاع الاختان اول وهلة ثم تستعدان جأشها ويطمئنان صاحبتها بان يقترحا اخراج عمر من الحي متنكرا بزي احداهن .

٥٤ـ٦٢

يخرج عمر متخفيا برداء احدى الفتاتين ، وعلى عكس ماهو معروف من حراسة النساء بالرجال يخرج عمر متقيا الشر والاذى بحماية ثلاث فتيات !! فيجتاز الحي بسلام . وهنا يبدأ المشهد الاخير ، الفتاتان وقد امنا هرب عمر يعودان الى لومه وتأنيبه والفتاة هي الاخرى تحذر عمر من زيارته المقبلة ، وتنصحه بالا يتظاهر في زيارته بالمودة ، وان يمنح طرفه لغيرها لئلا يثير شكوك قومها ...

٦٢ـ الى اخر الابيات

يصف عمر انتهاء الزيارة والمغامرة ، وعودته الى رحلته الشاقة فيصف ناقته ، وسيرها الجاد في الصحراء الخالية الموحشة .

ومن خلال عرض الابيات يظهر لنا اسلوب عمر القصصي في غزله فقصيدته هذه حقا تشكل حكاية متسلسلة الاحداث (صنع عمر عقدة القصة ومأزقها الحرج ، ثم وضع حلها على يد تلك المرأة واختيها)(٥٩٦)

(٥٩٦) القصة والحكاية ٢٣١ .

ونستطيع في الوقت نفسه ان نتبين اسلوب عمر ولغته الشعرية من خلال العودة مرة اخرى الى قراءة القصيدة ... فتكاد تخلو مما وصف به شعر عمر بالمجون سوى بيت واحد ذكر محقق الديوان الديوان انه ساقط من اصل رواية اخرى او نسخة اخرى للديوان (٥٩٧) ما وصفه لطيب رياها وجمال فمها وثناياها فهو موجود في اشعار العذريين ايضا ، ولانعدمه في وصف جميل لصاحبته بثينة .

وقد ذكر ان (هذه القصيدة ومثيلاتها من شعر عمر مغامرات متعة حسية فقط تفتقد العواطف الجياشة الصادقة ، والاشواق الساذجة المخلصة التي كنا نحسها في قصائد شعر البادية العذري ونتجاوب معها) (٥٩٨) . الا ان قراءة الابيات الاولى تطلعنا على عاطفة جميلة لابد ان تتجاوب معها ، وتهتز لها ، وقد اعتمد الشاعر فيها اسلوب الاستفهام والخطاب والحوار معتمدا على تكرار اسم صاحبته ليؤكد حبه لها وفي البيتين الرابع والخامس لجأ عمر الى تكرار النفي خمس مرات

ولاالحبل موصول ولا القلب مقصر
اهيم الى نعم فلا الشمل جامع
ولاقرب نعم ان دنت لك نافع
ولا نأيها يسلي ولا انت تقصر

وقد منح هذا التكرار لغته الشعرية جمالا بدا في تنغيم داخلي للابيات يرسخ من خلاله وقع الحب في نفسه وتمكنه من قلبه .

كما وجدناه في البيت ٢٤ ، مبدعا في وصف قدرته على التعرف على بيت نعم من خلال هدي اشواقه اليها ، او من تنسم رياها العطرة .

---

(٥٩٧) هو البيت الذي يلي البيت (٣٤)

(٥٩٨) القصة والحكاية ٣٤١

وهناك مواطن عديدة نجح عمر في ابراز عاطفة المودة والحب ، لامن خلال تصوير لواعجه هو وحده وانما من خلال نجاحه في تصوير حُب صاحبته له ، ويكفيه هذا نجاحا لنفي خلو اشعاره من العاطفة الصادقة .. نجد هذا من خلال اعتماد الشاعر عمر على الحوار والحديث المتبادل بينه وبين صاحبته ، او بينها وبين صاحباتها (الابيات ٣٢،٣٣،٣٤،٤٤،٤٥،٤٦،٥١،٥٢ ...)

اما وصف عمر لرحلته في سبيل من احب فقد بدا باهتما ازاء وصفه لمشاعر الفتاة المتغزل بها ، او وصف ترفها ، وحسن عيشها ، ولعل سبب ذلك عائد الى طبيعة حياته نفسها ، اذ لم يكن عمر جوّاب صحارى ، ولاقاطع فلوات ... الا مايوصله الى غاياته في رحلاته القصار المنعمة .

واخيرا نقول ان هذه القصيدة تمثل فن عمر بن ابي ربيعة وشعره ، ولغته فنجد فيها سهولة التعبير وجماله ، وعفوية الوصف ورقته معتمدا الخيال الجميل ، والقصة المتلاحمة المشاهد ، والعاطفة المنسابة الهادئة رغبته في لقاء الحبيبة ، وتصريحه بحب صاحبته له واعترافها على لساته . يصاف الى هذا كله سلامة لغته وفصاحتها حتى عدّه الاصمعي حجة يحتج بشعره حين سئل عنه في كتابه فحوله الشعراء .